

م الموضوعات الإسلامية - موضوعات متفرقة - المحاضرة ٥٤ : المحبة الشرعية الإرادية .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٤-١٢-٢٠٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، و انفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يستمعون القول فيتبعون أحسنها، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

المحبة الفطرية والمحبة الشرعية الإرادية :

أيها الأخوة الكرام: هذا الدين الذي أكرمنا الله به منهج كامل، ولا يفلح أحد في تدينه إلا إذا أحاطه من كل جوانبه، فأحياناً تنمو المحبة على حساب العلم، وأحياناً ينمو العلم على حساب المحبة، وأحياناً ينحرف الإنسان بالمحبة، وأحياناً ينحرف الإنسان في طلب العلم، على كل لن يفلح إنسان تدين إلا إذا كان على ما كان عليه رسول الله وأصحابه، فالإسلام كلّ لا يتجزأ، ولن نقطف ثماره إلا إذا أحطناه من كل جوانبه، أحياناً يصير الإسلام فكراً وثقافة وكتباً ومحاضرات ومؤلفات وندوات، ويصير أدلةً وجداولً وحواراتً ونقاشاً وأحياناً يهيم الإنسان بحب الله، الحقيقة أن الثقافة جزء من الدين، وأن المحبة جزء الآخر، ولن يستطيع الإنسان أن ينجو إلا إذا كان كما كان عليه النبي عليه الصلاة والسلام، والحقيقة يجب أن نفرق بادئ ذي بدئ بين المحبة الفطرية وبين المحبة الشرعية الإرادية، كل إنسان يحب أهله، يحب أولاده، يحب أن يكون غنياً، يحب المال، يحب المرأة، يحب الراحة، يحب العلو في الأرض، هذا الحب الذي فطرنا عليه ليس معنىً في هذا الدرس إطلاقاً.

لو ذهبت إلى مستشفى الأطفال تجد المرأة المحبة وغير المحبة والمستقيمة والفاشقة تحضن ابنها وتبكي، فمحبة الأمهات لأبنائهن محبة فطرية، محبة الآباء لأبنائهم محبة فطرية، محبة الإنسان للمال محبة فطرية، قال تعالى:

﴿زِينَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهْوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقْنَطَرَةِ مِنَ الْذَّهَبِ وَالْفُضَّةِ وَالْخَيْلِ
الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ﴾

[سورة آل عمران: ١٤]

أنا حينما أتحدث عن المحبة لا أتحدث عن المحبة الفطرية هذه ميل أودعه الله فينا ابتداءً، وأكاد أقول: قد لا يكون لأحدنا أجر عند الله في هذه المحبة لأنها طبع وليس كسباً، ولكن حينما تحب شيئاً لا يتصل بميولك الفطرية، تحب أن تحفظ كتاب الله، تحب أن تفهم كلام الله، تحب أن تكون ناسراً لهذا الدين، داعياً إلى صراط الله المستقيم، تحب أن تتفق مالك، تحب العمل الصالح، تحب

أن تكون في مجالس العلم، تحب البطولة، كل هذه المحبة لا تتصل اتصالاً مباشراً ب حاجاتك الفطرية، حاجاتك أن تستلقي على فراش في بيتك لا أن تجلس في المسجد على ركبتيك و ليس هناك ضيافة أو أي شيء آخر، أنت حينما تحب أشياء لا تتصل اتصالاً مباشراً ب حاجاتك الفطرية هذا موضوع هذا الدرس المحبة الشرعية الإرادية.

الحب العقلي و الكسيبي هو الذي يرقى بالإنسان :

الإنسان يحب بعض الأطعمة، ولأن الطبيب حذر منها أشد التحذير ببغضها بغضاً عقلياً لا نفسياً، هو يحبها أشد الحب لكنه ببغضها لأنه يتوجه أو يتصور أنها تنتهي به إلى مرض عضال، لذلك فرق العلماء بين محبة عقلية ومحبة فطرية، هناك أطعمة يتعلق بها الإنسان كثيراً ومع تقدمه بالعمر هذه الأكلات قد تكون قاتلة له يحظرها عليه الطبيب، هو نفسه تطوق لها الطعم لكنه يخاف أن يكون هذا الطعام سبباً لمرض عضال فلا يأكله.

فأنا أبحث لا عن محبة فطرية بل عن محبة عقلية، أحياناً تطوق نفسك إلى أن تكون شخصاً مهماً في الحياة هذا يحتاج إلى دراسة، تتناسب للجامعة، تداوم ساعات طويلة على مدرج خشبي، لا يوجد أية راحة، والأستاذ قاس جداً، ودرسه معقد، والامتحان صعب، وقد تسهر إلى الساعة الواحدة ليلاً وأنت تقرا رموز الكتاب فلا تفهمه، هذا شيء لا يتصل لا بجسمك ولا بنفسك هذا شيء متعب لكنك تحب التفوق بالجامعة محبة عقلية لا محبة فطرية، يجب أن تفرق بين المحبة الفطرية والعقلية نحن هنا نبحث في المحبة العقلية، أي شيء في الأصل لا تحبه لكنك تحبه بعقلك لأنه طريق سلامتك وسعادتك.

إذاً ما توافق عليه الناس من حب الطعام والشراب وسائل الشهوات، وما توافق عليه الناس من محبة لأهلهم وأولادهم وزوجاتهم هذه أشياء لا تعنينا في هذا الدرس إطلاقاً، يعني أن يكون حبك كسيبياً لا فطرياً، أن يكون حبك عقلياً لا نفسياً، هذا الحب العقلي والحب الكسيبي هو الذي يرقى بالإنسان، ألا لا إيمان لمن لا محبة له.

((عن عَقِيلٍ زُهْرَةُ بْنُ مَعْبُدٍ أَنَّهُ سَمِعَ جَدَّهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هَشَامَ قَالَ: كُنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ فِإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْآنَ يَا عُمَرَ))

[البخاري عن عَقِيلٍ زُهْرَةُ بْنُ مَعْبُدٍ]

هذا كلام سيد الخلق ولا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، إذاً لا يمكن أن تكون المحبة إلا كسبية تلك التي نرقى بها.

التحذير من شرك المحبة :

المشكلة أيها الأخوة الكرام: أن الذي لا يحب الله يؤمن بوجوده، فعنه إقرار على أن الله موجود، وهو خالق السموات والأرض، وأنه خلق الجنة للمؤمنين والنار للكافرين، وأن معظم أركان الإيمان يعتقد بها، لكن لأنه يحب غير الله، ويطيع غير الله، هذا يعد عند الله مشركاً، الدليل قال تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحْبَ اللَّهِ﴾

[سورة البقرة: ١٦٥]

الحقيقة لا تنتظر أن تستمع من إنسان هو عند الله مشرك أن يقول لك: هذا إله أعبده من دون الله، هذا شيء لا يكون، ولكن المشرك هو الذي يعامل ما سوى الله كما يعامل الله، نحن في العيد نقول: الله أكبر ولا سيما في عيد الأضحى المبارك، إنسان يغش المسلمين يوم العيد جاء إلى المسجد ورفع صوته بالتكبير، الحقيقة أنه ما قال الله أكبر ولا مرة ولو رددتها بلسانه ألف مرة لماذا؟ لأنه رأى أن هذا المبلغ الكبير الذي يجنيه من غش المسلمين أكبر عنده من الله، من أطاع زوجته في معصية ما قال الله أكبر ولا مرة لأنه رأى أن طاعة زوجته أكبر عنده من طاعة الله بشكل أو باخر، من أطاع مخلوقاً وعصى خالق السموات والأرض ما قال الله أكبر ولا مرة ولو رددتها بلسانه ألف مرة.

أيها الأخوة الكرام: إذا الشرك الذي يحذر منه شرك المحبة، لأن المحبة تنتهي إلى الطاعة، قال تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحْبَ اللَّهِ﴾

[سورة البقرة: ١٦٥]

الآن وما يؤكد أن انحراف الإنسان إلى الشرك هو انحراف في المحبة قول الله عز وجل:
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾

[سورة الأنعام: ١]

يعدلون عنه إلى غيره، أو يعدلون به مخلوقاً بالمحبة فقط.

الحب في الله و الحب مع الله :

لذلك أنا مضطر أن أوضح معنيين دقيقين؛ الحب في الله والحب مع الله، لأنك تحب الله عز وجل ينبغي أن تحب رسول الله، فمحبتك لرسول الله صلى الله عليه وسلم حب في الله، وبينبغي أن تحب صحابته الكرام، محبة الصحابة الكرام حب في الله، وبينبغي أن تحب التابعين الأعلام، والعلماء الربانيين، وأن تحب كل داعية إلى الله، وأن تحب بيوت الله، وأن تحب كتاب الله، وأن تحب الأعمال الخيرة، وأن تحب الإنفاق في سبيل الله، كل هذه الأنواع من المحبة فرع من محبة الله.

ترى طالباً دخل جامعة يحب القرطاسية الجيدة، و الدفاتر الأنيقة، يحب مكتباً يدرس عليه، يحب الإضاءة الجيدة، يحب غرفة مكيفة في الصيف، يحب التكيف والتدافئة والطاولة والقرطاسية الجيدة والورق الجيد، ويحب أن يكون أكله يتناسب مع جسمه من أجل الدراسة، هذه كلها محبة فرعية ناتجة عن محبة الدراسة والعلم، لذلك الحب في الله عين التوحيد، بينما الحب مع الله عين الشرك، أنت مؤمن وتحب فاسقاً!! غني أحياناً يدعوك إلى طعام نفيس جداً تحبه وتعلم أنه ليس على الحق هذا حب مع الله، الحب مع الله عين الشرك والحب في الله عين التوحيد، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد، قال تعالى:

﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدُلُونَ﴾

[سورة الأنعام: ١]

الانحراف في المحبة :

الآن كيف ننحرف في المحبة؟ الآية الكريمة أيها الأخوة الكرام قال تعالى:
﴿وَقَالُوا لَا تَذَرْنَ الْهِتَّكُمْ وَلَا تَذَرْنَ وَدَّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾

[سورة نوح: ٢٣]

هذه كلها آلهة تعبد من دون الله في الجاهلية، ما أصل هذه الآلهة كما قال عليه الصلاة والسلام؟ رجال صالحون مؤمنون أحбهم أقوامهم ثم ألهوهم ثم عبدوهم من دون الله هذا انحراف في المحبة، فلذلك سيدنا الصديق رضي الله عنه لما انتقل النبي عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى ماذا قال؟ قال: من كان يعبد محمداً، محمداً فقط ما على وجه الأرض إنسان يحب إنساناً كما يحب الصديق رسول الله، في حياته كلها يا رسول الله، يا سيدى، يا رسول الله، يا حبيب الله، بعد أن مات، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. معنى ذلك أن الإنسان أحياناً ينحرف فيعبد الذي ينبغي ألا يعبد وقد قال الله عز وجل:

﴿اتَّخِذُوا أَهْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللّٰهِ﴾

[سورة التوبه: ٣١]

وأنا أقول لكم الآن مسلمون كثيرون ينسون الله ويعبدون شيوخهم من دون الله دون أن يشعروا، لعلهم قلة لكن حينما تؤذي إخوانك وترضي شيخك، حينما لا تقيم أمر الله في بيتك لكنك تلمع نفسك أمام شيخك، هذا شرك وهذا نوع من العبادة، أما المؤمن فطاعته الله لا تتأثر لا في خلوته ولا في جلوته ولا أمام الناس، بل إن بعض مقاييس الإخلاص أن عملك لا يزيد في المدح ولا يقل في الذم، ولا يزيد أمام الناس ولا يقل إذا كنت بعيداً عنهم، خلونك كجلونك، وسرك كعلانيتك، هذا الإخلاص.

ثمن حلوة الإيمان :

طبعاً هناك موضوع يجب أن يكون بين أيديكم واضحأ هو أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال:

((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سَوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبِّهِ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ يَكُرْهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكُرْهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ))

[متفق عليه عن أنس بن مالك رضي الله عنه]

حلوة الإيمان شيء نفيس جداً، حلوة الإيمان تنسيك الدنيا وما فيها، حلوة الإيمان يجعلك بطلاً، حلوة الإيمان يجعلك تبذل الغالي والرخيص والنفس والنفيس، حلوة الإيمان يجعلك إنساناً بعيداً عن تقاهات الأرض، وعن سفاسف الأمور، وعن وحل الأرض، هذه الحلاوة لها ثمن باهظ، من بنود ثمن هذه الحلاوة:

((أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سَوَاهُمَا))

[متفق عليه عن أنس بن مالك رضي الله عنه]

وشيء بديهي أنك لو سألت مليار مسلم ألا تحب الله ورسوله أكثر من أي شيء آخر؟ لما تردد ثانية واحدة، لكن المعنى ليس هذا، أن يكون الله في قرآن أي الأوامر في القرآن، وأن يكون رسوله في سنته السنة النبوية المطهرة أحب إليك مما سواها عند التعارض، بضاعة ربحها في المئة ثلاثة ويمكن أن تأخذ ربحاً بالملايين لكنها محرمة شرعاً فإذا قلت: معاذ الله - ما ترك عبد شيئاً الله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه - وركلت هذه الصفقة بقدمك، وفوت على نفسك بضعة ملايين، فأنت دفعت ثمن حلوة الإيمان، أن يكون الله في قرآن والنبي في سنته أحب إليك من الدنيا وما فيها عند التعارض، بينما تتعارض مصالحك مع النص الشرعي، في البضاعة مادة كحولية دعيت إلى أن تكون وكيلًا لشركة عملاقة تبيع بيرة بلا كحول، أخي لا مانع من هذا لأنك مكتوب عليها بلا كحول لكن فيها شبهة ولعل الشبهة في اسمها، مثلًا هناك صفات كثيرة أرباحها طائلة لكن فيها شيئاً محرماً، فيها مادة محرمة، فيها شبهة بطريقة البيع والشراء، فحينما يكون الله في قرآن والرسول في سنته أحب إليك من أي شيء آخر، أي حينما يتعارض النص الشرعي مع مصلحتك وتضع مصلحتك المتوجهة تحت قدمك وتحاز إلى النص الشرعي الآن دفعت ثمن حلوة الإيمان.

أن يكون الله في قرآن والنبي في سنته أحب إليه مما سواها.

من آثر محبة الآخرين على محبة الله خسر كل شيء :

لكن الآية التي أنا أسميتها أحياناً قاصمة الظهر هي قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ أَبَاكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَاتُكُمْ ﴾

[سورة التوبه: ٢٤]

الآباء والأبناء، الآباء أصول والأبناء فروع، وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال افترقتموها وتجارة تخشون كсадها ومساكن ترضونها، ماذا بقي؟ آباء أبناء أخوة أزواج عشيرة أموال بيوت تجارات.

﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

[سورة التوبه: ٢٤]

الآلية تحير، أي إذا حملك حبك لأبيك على أن تكون جاهلياً مثله، آثرت طاعته على طاعة الله هذا بداع الحب، أحببته ولو كان مشركاً، أحببته ولو كان فاسقاً، أحببته ولو كان دخله حراماً، وإذا حملك حبك لابنك، تحب أن يكون ابنك في أعلى مستوى ودخلك محدود مدحت يدك إلى الحرام من أجل ابنك الله ما كلفك، قال تعالى:

﴿فَلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ﴾

[سورة التوبه: ٢٤]

من هو مثيل لك من أجل أن تكون قوياً عندهم ومحبوباً، من أجل أن تبذل لهم كل شيء، من أجل أن يلقوا حولك، كسبت المال الحرام، وأنفقته عليهم. وأزواجكم، الزوجة لك عندها مصلحة كبيرة جداً، الزوجة هي الدنيا فإذا أردت أن ترضيها بمعصية الله أي أحببتها أكثر من الله، قال تعالى:

﴿فَلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالُ افْرَقْتُمُوهَا﴾

[سورة التوبه: ٢٤]

أحياناً هناك طرق لكسب المال لا تعد ولا تحصى، كلها صفات مشبوهة، مواد محرمة، طرائق في التعامل غير جيدة، مرة أخ كريم توفي رحمه الله قال لي: أخذنا محضراً بثلاثي ثمنه، قلت له: كيف؟ قال: هناك دعوى إزالة شيوخ أتبينا بعشرين إنساناً ليدخلوا في هذه المزاودة ولكن بشكل خلبي يرفعون السعر بشكل بسيط وحققتا أن الإعلان لم يكن منتشرًا كما ينبغي فجاء المناقصة رجال قلة، وهذا الجمع الغفير من جاؤوا شكلاً رفعوا السعر قليلاً قليلاً المحضر فرضاً بمئتي مليون رسا سعره على مئة وخمسين مليوناً، قال: وفرنا خمسين مليوناً بهذه الطريقة، فإذا عمرناه ربنا ملايين مليلة، قلت له: من يملك هذا المحضر؟ قال: يملكه سبعون أو ثمانون شخصاً معظمهم أيتام، قلت له: أنت أكلت المال الحرام دون أن تشعر، أنت بأسلوب تمثيلي دخلت في مزاودة ولم تعط أصحاب الأرض حقهم، ماذا تقول لربك حينما تدفن تحت الأرض؟ هنا بصحن الجامع. قال: والله هذه ما جاءت في خاطري، في اليوم الثاني انسحب، قلت له: إما أن تتسحب أو تتدفع لأصحاب المحضر الثمن الطبيعي، هذه عملية احتيال، والله قبل أيام رأيت ابنه قال لي: توفي والدي رحمه الله.

مليون طريق لكسب المال، احتيال، تزوير وإيهام، ومادة محرمة وأسلوب محرم، وكذب وتلليس وغش، والله هناك أساليب بمئات الألوف فلذلك قال تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالُ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةً تَخْشُونَ كَسَادَهَا﴾

[سورة التوبه: ٢٤]

ممکن بضاعة کاسدة نجري لها دعاية عن طريق نساء فاضحات شبه عاريات، وهذا شيء حصل، بضاعة کاسدة دعاية کافت مبالغ طائلة عن طريق نساء شبه عاريات، والناس أقبلوا على هذه البضاعة ونفذت بأكملها.

﴿وَتِجَارَةً تَخْشُونَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾

[سورة التوبه: ٢٤]

بيت مؤجر الآن التغى الموضوع أما قبل قانون الإيجار الجديد بيت مؤجر قبل عام ألف و تسعمئة و ستين أجرته مئة ليرة، ثم أنه أربعون مليوناً مثلاً، يقول بحكم القانون: أنا، لكن صاحب هذا البيت ألم تستنفذ مالي ظلماً وعدواناً؟ الآية تشمل قال تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالُ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةً تَخْشُونَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

[سورة التوبه: ٢٤]

أي من كتابه وسنة رسوله، قال تعالى:

﴿وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾

[سورة التوبه: ٢٤]

لكن مفتاح الآية في قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

[سورة التوبه: ٢٤]

كيف؟ أي إذا حملتك محبتك لأبيك أن تقسى، إذا حملتك محبتك لابنك أن تقسى، إذا حملتك محبتك لإخوانك أن تقسى، إذا حملتك محبتك لزوجتك أن تقسى، إذا حملتك محبتك لعشيرتك أن تقسى، إذا حملتك محبتك لأموال طائلة أن تقسى عندئذ عذر لأن الطريق إلى الله ليس سالكاً. إذا حملتك محبتك أيضاً للتجارة التي تخشى كсадها أن تقسى، إذا حملتك محبتك لبيت جميل تغتصبه أن تقسى قال تعالى:

﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

[سورة التوبه: ٢٤]

هذه الآية أيها الأخوة الكرام والله نقسم الظاهر، وهذا كلام الله عز وجل والإنسان حينما يحب الله المحبة التي أرادها الله مقاييسه تعكس، بين أن تحب أخذ المال تحب إنفاقه، بين أن تحب أن تتلقى خدمات الناس تحب أن تؤدي لهم الخدمات، من علامة المحبة الصادقة أن المقاييس ينعكس مئة بالمائة، بين أن تحب أن تأخذ تحب أن تعطي، بين أن تحب أن تستعلي تحب أن تتواضع، بين أن تحب أن تتلقى خدمات الآخرين تحب أن تؤدي لهم هذه الخدمات، فلذلك تجد مجتمع المؤمنين فيه خصائص قد لا تصدق قال تعالى:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾

[سورة الحشر: ٩]

طريق محبة الله طريق واضح جلي :

أيها الأخوة الكرام: طريق محبة الله واضح جلي، إنك أن أطع الله عز وجل وأقبلت عليه تحبه، لأنه من أعجب العجب أن تعرفه ثم لا تحبه، ومن أعجب العجب أن تحبه ثم لا تطيعه، مستحيل وألف ألف مستحيل.

تعصي الإله وانت تظاهر حب ه ذاك لعمري في المقال شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب يطيع

وسيدنا عمر يقول: "تعاهد قلبك". الواحد يحتاج إلى أن يستوطن قلبه، ما وضع قلبك هل أنت محب الله؟ هل أنت تؤثر أن تؤدي شيئاً لله؟ قال تعالى:
﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾

[سورة الإنسان: ٩]

أم أن الدين أصبح عندك ثقافة وأن مصلحتك فوق كل شيء؟ وأن الإنسان إذا مسك بأقل خدش تقيم الدنيا ولا تقعدها؟ إذا خلا الدين من المحبة كما يخلو الجسم من الروح، يصبح جثة هامدة، لذلك الإنسان الذي يعرف الله والذي لا يعرفه كالحي والميت، وهذا الدين روحه الحب، طبعاً الحب مع العلم أما إذا أغفلنا جانب الحب أغفلنا ركناً ركيناً من أركان الدين.

والحمد لله رب العالمين